

عمارة الرومانيسك في فرنسا

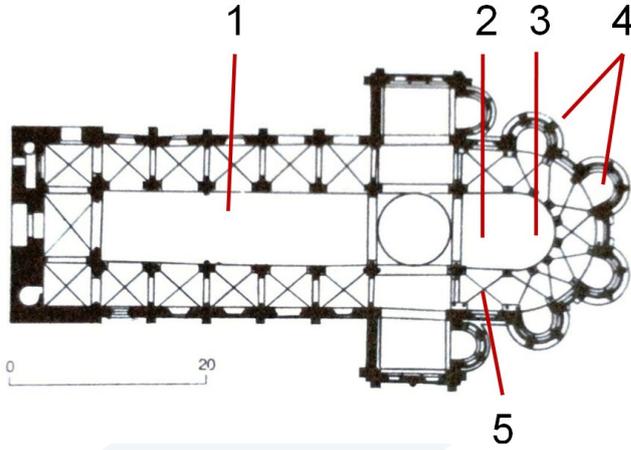
Romanesque Architecture in France

ارتبطت عمارة الرومانيسك في فرنسا بعمارة هذه الفترة في ألمانيا واشتركت معها بكثير من الخصائص وتأثرت بها. إذ ركزت بشكل أساسي على بناء الكنائس والأديرة واستخدمت نفس العناصر المعمارية في ذلك بالاعتماد على المبدأ التجميعي additive principle في العمارة. وكان انقسام فرنسا إلى مقاطعات في هذه الفترة واختلاف المعطيات الطبيعية سببا في اختلاف العمارة بين منطقة وأخرى.

1. كنائس طريق الحج وميزاتها

ظهرت في فرنسا تطورات ترتبط بازدياد أهمية الحج لدى المسيحيين بشكل كبير خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين. وكانت للحج وجهتان رئيستان هما كنيسة القيامة في القدس Church of the Holy Sepulcher in Jerusalem وكنيسة القديس بطرس في روما St. Peter in Rome. ويضاف إليها كنيسة القديس يعقوب في سانتياغو دي كومبوستيلا St. James in Santiago de Compostela، التي تقع في شمال غرب إسبانيا. رافق ذلك ازدياد في أهمية القديسين والعناية بقبورهم وأثارهم وزيارتها، مما أدى إلى نشوء عدد كبير من الكنائس والأديرة وتطويرها خاصة في فرنسا، التي تجتازها طرق الحج باتجاهات عديدة وخاصة باتجاه كومبوستيلا وفق ما يعرف بطريق يعقوب.

أدى ذلك إلى ظهور ما يعرف بكنائس طريق الحج Pilgrimage road churches، التي تم تطويرها لتتلاءم مع عدد الزوار الكبير. فبقي المجاز المركزي nave مخصصا للمصلين وفراغ المرتلين choir مخصصا للكهنة والرهبان، ولكن كان لا بد من إضافة فراغات تسمح للحجاج بالوصول إلى الهياكل الصغيرة التي تضم رفاة القديسين وأثارهم relics، والتي تقع عادة في محيط محراب الكنيسة، وذلك دون إعاقة الفعاليات الخاصة بالقدايس والتراويل. فتم ابتكار عناصر ترتبط بمحراب الكنيسة من جهة الشرق مثل المحراب المتدرج Benedectine choir والرواق المحيط بالمحراب ambulatory وما يلحق به من هياكل مستقلة chapels على شكل إكليل radiating choir.



1. المجاز المركزي Nave للمصلين
2. فراغ المرتلين Choir للكهنة والرهبان
3. المحراب Apse في جهة الشرق
4. هياكل صغيرة Chapels تضم ال Relics تقع حول المحراب على شكل إكليل Radiating Choir
5. طرق لمواكب الحجج على شكل رواق محيط بالمحراب Ambulatory

مكونات كنائس طريق الحج في فرنسا واحتياجاتها

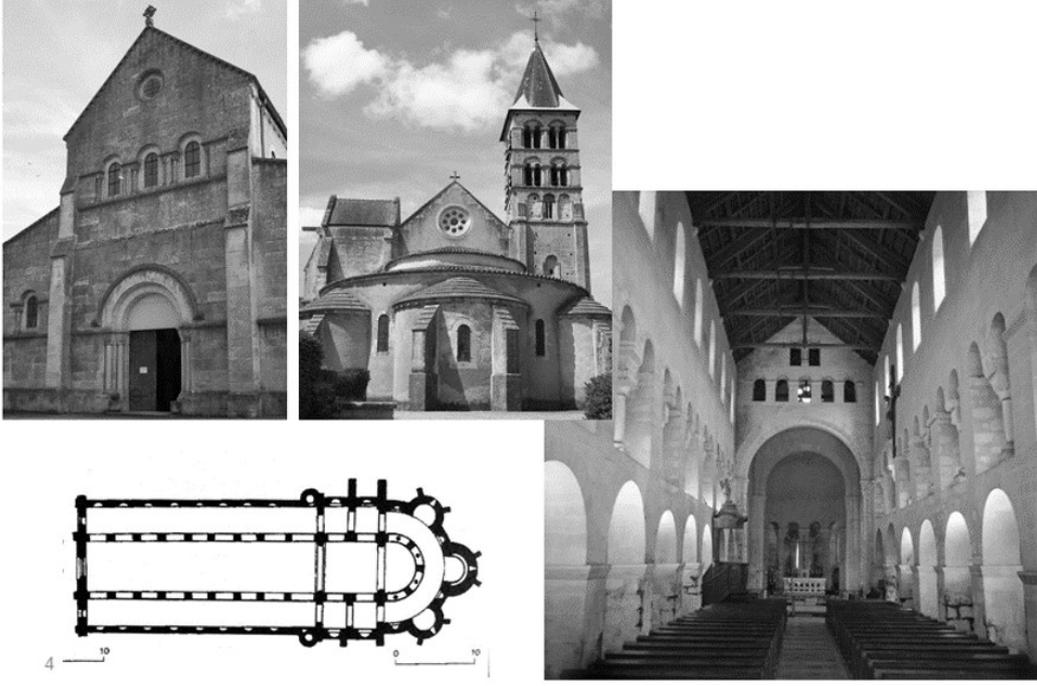
نلاحظ في الكنائس الفرنسية استخدام بنية البازيليك مع المجاز المعترض transept المزود هنا بالهياكل الصغيرة أحيانا إضافة إلى وجود رواق علوي gallery فوق المجازين الجانبيين. كما تأثرت الكنائس بفكرة الكتلة الغربية westwork التي بدأت بالظهور في ألمانيا وتم تحويلها هنا إلى واجهة ذات برجين بينهما المدخل الرئيس للكنيسة وفق ما يعرف بـ twin tower façade.

أما فيما يتعلق بالبنية الإنشائية فنجد في فرنسا نفس التطور الذي رأيناه في ألمانيا من حيث الانتقال من الأسقف الخشبية إلى الأسقف الحجرية المبنية على شكل قبوات مختلفة vaults. ويعتقد أن انتقال هذه التأثيرات كانت يتم من خلال ورش البنائين الذين كانوا يتنقلون من مكان إلى آخر في القرون الوسطى وينقلون معهم أفكار وتقنيات البناء.

1.1 كنيسة القديسة إيتيين في فينيوري - St. Etienne Church, Vignory

أنشئت كنيسة القديسة إيتيين في فينيوري الواقعة في منطقة الشامباني في فرنسا منتصف القرن 11م وهي إحدى الكنائس الواقعة على طريق الحج.

الكنيسة ذات بنية بازيليكية مكونة من مجاز مركزي nave يحف به مجازان جانبيان aisles مفصولان عنه برواق من الدعامات والأقواس نصف الدائرية ويزيد ارتفاع الرواق بصف علوي تتناوب فيه الدعامات والأعمدة. للكنيسة أسقف خشبية جملونية ظاهرة من الداخل. تنعكس بنية الكنيسة على واجهة الغربية البسيطة من الخارج مع بوابة مركزية يعلوها قوس نصف دائري متدرج مع أعمدة على الجانبين.

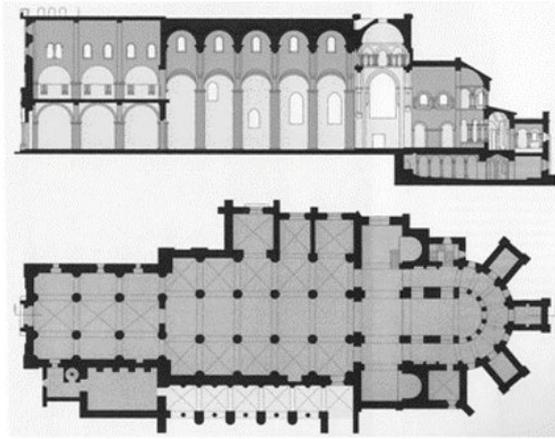


كنيسة القديسة إيتين في فينيوري: المجاز المركزي - واجهة شرقية وغربية - مسقط

أما من جهة الشرق فيمتد المجاز المركزي ليشكل فراغ المرتلين choir المرتبط بمحراب الكنيسة apse وكون الكنيسة مخصصة للحجاج أضيف رواق محيط بالمحراب من الخارج ambulatory حتى لا يتم عرقلة القديس والتراتيل. يلحق بهذا الرواق ثلاثة هياكل مستقلة chapels على شكل محاريب إضافية تشكل إكليلا من الهياكل. هذه البنية تظهر بوضوح في الواجهة الشرقية.

2.1. كنيسة القديس فيليبير في تورنوس - St. Philibert Church, Tournus

الكنيسة الموجودة حاليا تتكون من جهة الغرب من كتلة ضخمة تعتبر تطورا للـ westwork (تعود إلى حوالي عام 1019 م) تضم بهو دخول ضخم في الطابق الأرضي. وتعلوه كنيسة أمامية مرتفعة تتكون أيضا من ثلاثة مجازات. هذه البنية لا تنعكس على الواجهة الخارجية الحجرية. وهي تعد أقدم مثال على واجهة غربية مكونة من برجين وبينهما بوابة مركزية twin tower façade. البرج الجنوبي لا زال على حالته الأولى وهو لا يرتفع كثيرا عن جسم الكنيسة، بينما تمت زيادة ارتفاع البرج الشمالي. تشكيل الواجهة تم بالاعتماد على دعائم جدارية شاقولية قليلة البروز lesene تربط بينها أفقيا أفاريز ذات أقواس نصف دائرية round arch frieze ولكن تقسيمات الواجهة ليست متجانسة ومتراطة مع المناسيب والطوابق الموجودة خلفها في الداخل.



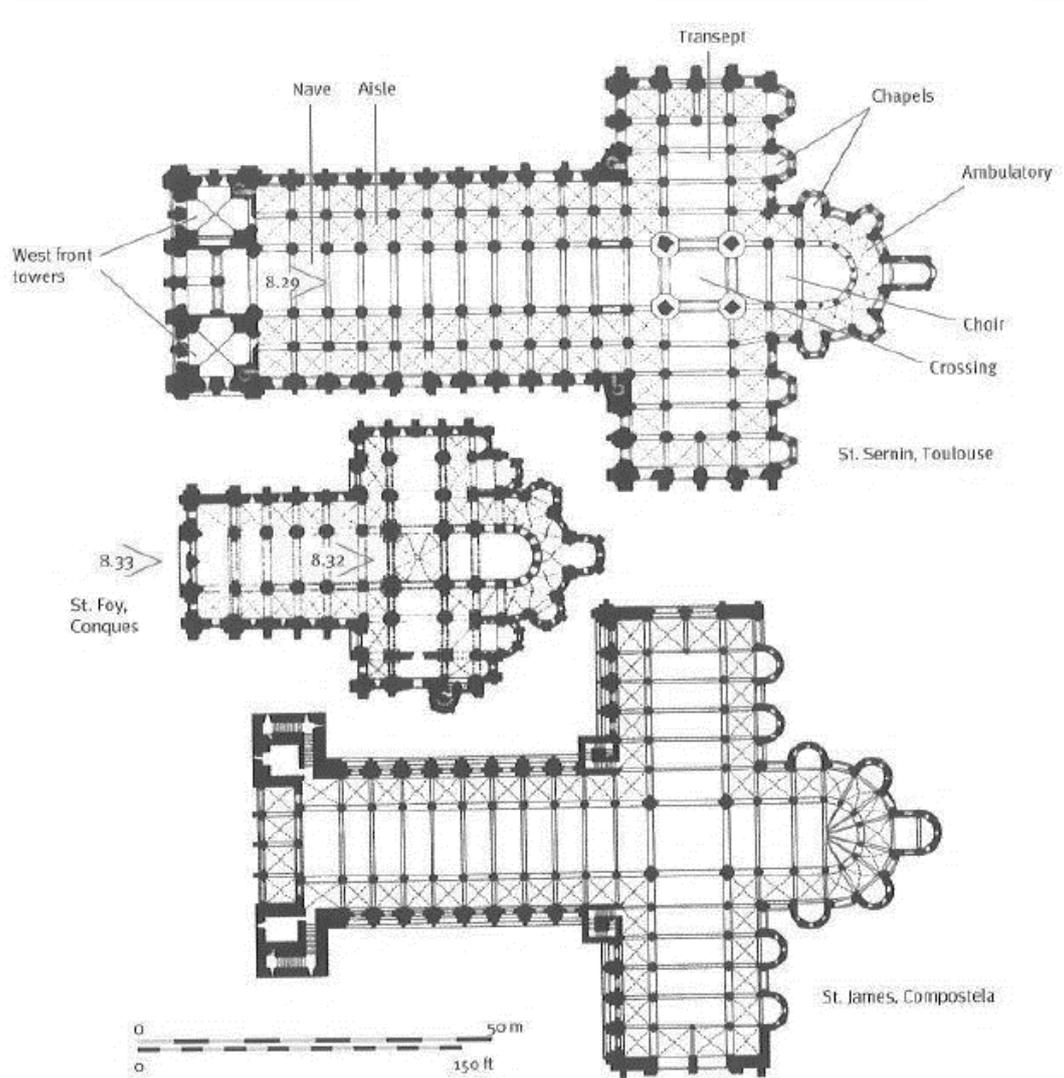
كنيسة القديس فيليبير في تورنوس: واجهة شرقية - مقطع طولي - مسقط - واجهة غربية

الكنيسة ذات مسقط بازيليكالي مكون من مجاز مركزي ومجازين جانبيين تفصل بينها سلسلة من الدعامات الدائرية الضخمة. نجد المجازات الجانبية مسقوفة بقبوات متصالية groin vaults والتي تمت محاولة تنفيذها في المجاز المركزي أيضا ولكن بدلا من ذلك تم بناء خمس قبوات أسطوانية معترضة transverse barrel vaults تستند إلى أقواس معترضة transverse arches تنقل الحمولات إلى الدعامات الجانبية. سمح ذلك بفتح نوافذ كبيرة clerestory windows في جوانب هذه القبوات منححت الكنيسة إضاءة علوية مميزة.

يلي ذلك في جهة الشرق مجاز معترض مع محاريب جانبية ولكن التطور الآخر البارز في هذا المبنى هو أن فراغ المرتلين choir والمحراب apse المرتبط به شرقا محاطان برواق نصف دائري ambulatory وظيفته السماح بحركة الزوار من الحجاج دون عرقلة أو مقاطعة القداس والتراتيل. يلحق بهذا الرواق ثلاثة هياكل مستقلة chapels مستطيلة الشكل تبرز نحو الخارج بشكل شعاعي تعد أول مثال على ظهور إكليل من الهياكل الصغيرة radiating chapels.

2. تطور كنائس طريق الحج

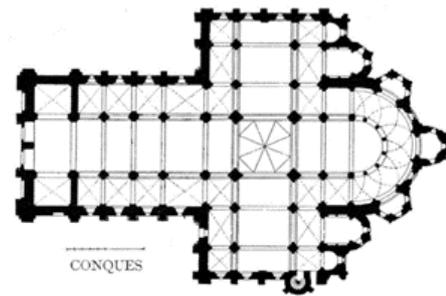
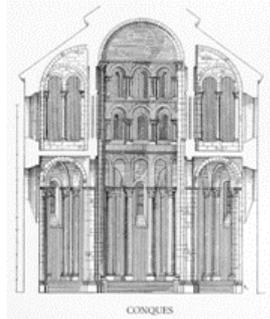
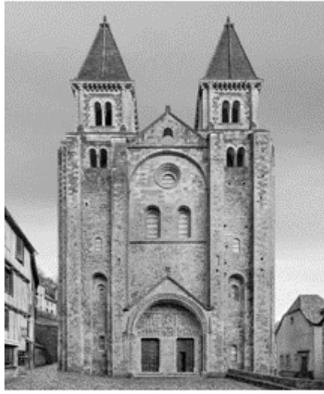
تتكرر الأفكار السابقة وتزداد ضخامة في كنائس أخرى واقعة على طريق الحج مع الوقت. حيث استمر تطوير كنائس الحج بإضافة أروقة gallery في الطابق العلوي من المجازين الجانبيين المسقوفين بالقبوات المتصالبة groin vaults، وكانت تستخدم أحيانا لإيواء الحجاج. وتوجد كنائس كثيرة تتماثل إلى حد بعيد من حيث حل المسقط وطريقة الإنشاء والتسقيف ومن حيث الحلول المتبعة في الجهة الشرقية من الكنيسة منها: كنيسة سانت فوي في كونك Abbey St. Foy – Conques وكنيسة سانت سيرنين في تولوز St. Sernin - Toulouse وكاتدرائية القديس يعقوب في سانتياغو دي كومبوستيلا St. James Cathedral - Santiago de Compostela التي تقع في نهاية طريق الحج في إسبانيا. حيث تمتاز جميعها بمجاز مركزي ذو قبوة أسطوانية barrel vault مع أقواس معترضة ومجاز معترض مكون من ثلاث مجازات (مسقط على شكل صليب لاتيني) مع هياكل جانبية، إضافة إلى رواق محيط ambulatory مع إكليل من الهياكل الصغيرة radiating chapels.



كما يظهر في هذه الكنائس أيضا تطور من حيث التشكيل الغني للجدران والأروقة من حيث تقسيم الجدران بواسطة أنصاف أعمدة والدعامات. وإبراز بعض العناصر المعمارية بشكل متزايد من خلال العناصر النحتية، كما في تيجان الأعمدة وفي تشكيل البوابات، بينما بقيت الجدران والقبوات المختلفة سطوحا تغطي بالرسومات الجدارية. الهدف من المنحوتات والرسومات هو نشر تعاليم الدين المسيحي بين العامة من الناس حيث كان يتم تجسيد مبادئ دينية منتشرة في القرون الوسطى.

1.2. كنيسة سانت فوي في كونك - Abbey St. Foy, Conques

بنيت الكنيسة التي كانت تابعة لدير في بلدة كونك مكان كنيسة سابقة ما بين عام 1041 ومطلع القرن 12 م.



كنيسة سانت فوي في كونك: المجاز المركزي - واجهة غربية - مسقط - مقطع عرضي - واجهة شرقية

الكنيسة ذات مسقط بازيليكالي يتكرر أيضا في المجاز المعترض مما يجعل المسقط على شكل صليب لاتيني مع كون المجازات الجانبية جميعها ذات طابقين gallery. المجاز المركزي مسقوف بقبوة أسطوانية مستمرة barrel vault ولكنها مجزأة بواسطة أقواس معترضة transverse arches تربطها مع الدعامات الحاملة في الأسفل. أما المجازات الجانبية فهي مسقوفة في الطابق الأرضي بقبوات متصالبة groin vaults وفي الطابق العلوي بنصف قبوة أسطوانية تساعد على تلقي القوى الأفقية من القبوة المركزية. الدعامات الشاقولية الحاملة للقبوات مقطوعها مربع يحيط بها من جوانبها الأربعة دعامات

جدارية بارزة أو أنصاف أعمدة تساعد على الانتقال إلى الأقواس نصف الدائرية. الأقواس مرتفعة ومفتوحة في الطابق الأرضي، تقابلها في الطابق العلوي gallery أقواس أقل ارتفاعاً تقسم بواسطة قوسين نصف دائرين محمولين على أعمدة صغيرة. يتكرر ذلك في المجاز المعترض ويقوم فوق نقطة التقاطع برج crossing tower (يعود بشكله الحالي لمراحل لاحقة).

تتميز الجهة الشرقية من الكنيسة، التي تلي المجاز المعترض، بكون فراغ المرتلين والمحراب المرتبط به محاطاً برواق نصف دائري ambulatory يلحق به ثلاثة هياكل مستقلة chapels ذات مسقط نصف دائري تبرز نحو الخارج على شكل إكليل من الهياكل الصغيرة radiating chapels. يكملها هيكلان صغيران على كل من طرفي المجاز المعترض. يظهر هذا التشكيل من الخارج بشكل متدرج وفق المبدأ التجميعي additive principle.

أما في الجهة الغربية فتقوم واجهة حجرية مكونة من برجين مربعين مدعمين بدعامات حجرية بارزة تزيد من ظهورهما. تظهر بينهما النهاية المثلثة للسقف الجملوني. المدخل محوري مكون من بوابتين مستطيلتين يربط بينهما قوس مرتفع وجهة مثلثة.

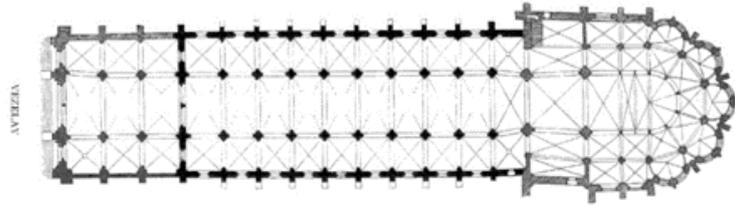
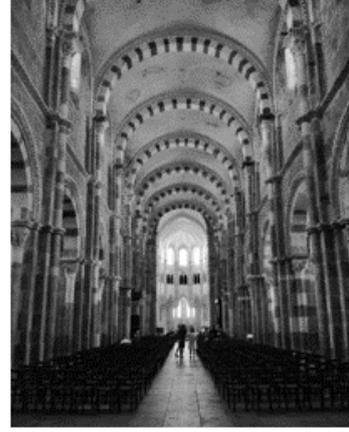
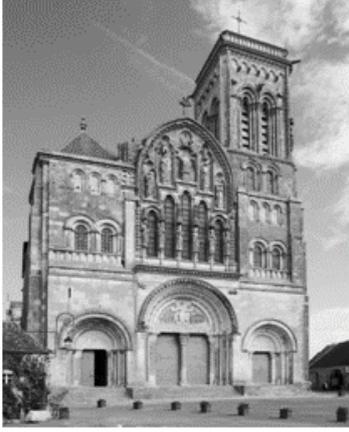
3. التطور الإنشائي لكنائس الرومانيسك في فرنسا في القرن 12 م

يستمر تطور الكنائس وخاصة من الناحية الإنشائية ويتجسد ذلك ببناء كنائس مسقوفة بالكامل بالقبوات المتصالية groin vaults، كما في أشهر كنيسة من كنائس الرومانيسك في فرنسا في القرن 12 م وهي كنيسة مريم المجدلية في مدينة فيزيلاي.

1.3 كنيسة مريم المجدلية في فيزيلاي - St. Marie-Madelaine, Vezelay

بنيت هذه الكنيسة الواقعة في منطقة البورجوندي ما بين 1120-1140م. ويبدو أن تطور تقنيات البناء ساعد في هذه الفترة على بناء كنيسة مسقوفة بالكامل بالقبوات المتصالية groin vaults. وذلك من خلال تنظيم المسقط بحيث تقابل كل قبوة في المجاز المركزي - مسقطها مستطيل - قبوة واحدة في المجاز الجانبي - مسقطها مربع. تفصل بين القبوات أقواس معترضة transverse arches ترتبط من خلال أنصاف أعمدة بالدعامات الحاملة.

القسم الغربي من المبنى مع بهو الدخول والكنيسة الأمامية والأبراج لم يكتمل إلا في عام 1140-1152م. ساعدت هذه الكنيسة الأمامية في الحفاظ على المنحوتات الهامة التي تعلو البوابة الغربية للكنيسة tympanon، التي تمثل إرسال روح القدس إلى الحواريين أو الرسل ويتم ضمن المساحات المحيطة المؤطرة التعبير عن شعوب العالم، التي يجب أن تصلها تعاليم الدين. وفي الحلقات الدائرية يوجد تجسيد للأبراج السماوية. كما تشتهر الكنيسة بالتيجان المنحوتة المميزة ذات المواضيع المختلفة، منها تاج في المجاز المركزي يعرف بتاج الطاحونة الغامضة mystic mill capital.

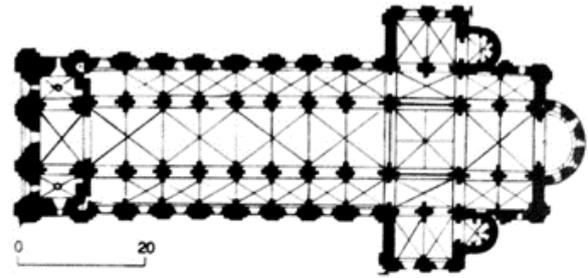
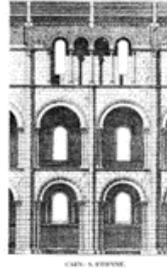
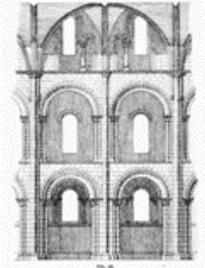
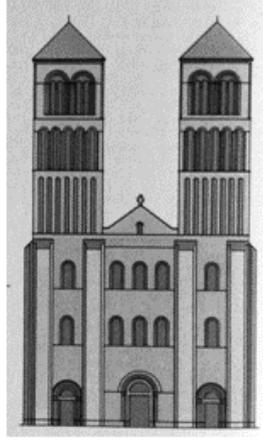


كنيسة مريم المجدلية في فيزلاي: المجاز المركزي - البوابة الغربية - واجهة غربية - مسقط - تاج الطاحونة الغامضة

2.3. كنيسة القديسة ايتيين في سيان - St. Etienne Church, Cean

تعد كنيسة سان ايتيين في سيان St. Etienne – Cean، التي تم الانتهاء من بنائها حوالي 1060 م أو 1090 م من الكنائس التي تعطي فكرة مهمة عن تطور الواجهات الغربية ذات البرجين في منطقة النورماندي شمال فرنسا.

الواجهة مقسمة إلى عدة أجزاء تبدأ بقاعدة في الأسفل تضم ثلاث بوابات ذات أقواس نصف دائرية. يعلوها صفان من النوافذ ذات الأقواس نصف الدائرية. تفصل بين المناسيب المختلفة كورنيشات أفقية تقطعها الدعامات البارزة للأبراج، تعطي الواجهة تقسيماً شاقولياً مسيطراً. يبدأ البرجان مع بداية الجبهة المثلثة للسقف الجملوني. البرجان مكونان من ثلاث طبقات بحيث يزداد عدد الفتحات أو نسبة انفتاحها كلما انتقلنا إلى الأعلى. يطلق على هذا النوع من الواجهات مصطلح twin-tower-façade.



كنيسة القديسة ايتيين في سيان: المجاز المركزي - الواجهة الغربية (إعادة تصور)

الواجهة الغربية (الوضع الراهن) - مسقط - تغير المجاز المركزي نتيجة استخدام القبوات

لعبت هذه الكنيسة دورا هاما في تطور بناء القبوات واستخدام القبوات المضلعة إذ تعد أول مثال عليها في فرنسا. ففي 1120-1125م تم استبدال السقف الخشبي للمجاز المركزي بقبوات مضلعة ribbed vaults مقسمة إلى ستة أقسام. بحيث تقابل القبوة الواحدة في المركز قبوتين في المجازات الجانبية، وهي تعتبر مرحلة انتقالية نحو بداية العمارة الغوطية وقد أثرت بشكل كبير على عمارة الرومانيسك في انكلترا.